جمع ما ورد من الأحاديث في وعظ النبي ﷺ للحاضرين عند القبر قبل الدفن

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى اله وصحبه، وبعد:

فهذا بحث يتضمن ما ورد من الأحاديث في وعظ النبي ﷺ للحاضرين عند القبر قبل الدفن، كما يتضمن ما تحصلت عليه مما يسره الله لي من المراجع من كلام العلماء في ذلك.

جاء في صحيح البخاري رحمه الله (٩٩/٢) ما نصه:

باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله:

حدثنا عثمان، قال: حدثني جرير، عن منصور، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن علي رضي الله عنه قال: «كنا في جنازة في بقيع الفرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس، وجعل ينكث بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة. فقال رجل: يا رسول الله؛ أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير

إلى عمل أهل السعادة. وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة! قال: فأما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة؛ فقرأ: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ** ﴾... الآية [الليل: ٥].

وأشهر منه عند كثير من الناس حديث البراء بن عازب الطويل، وقد رواه جمع من أئمة الحديث، وذكره – محمد ناصر الدين الألباني – حفظه الله تعالى، وجزاه خيراً؛ في كتابه: أحكام الجنائز وبدعها. وذكر جميع من خرجه، وهذا نص كلامه عنه في الكتاب المذكور ص (١٩٨) قال:

١٠٥ – ويجوز الجلوس عنده أثناء الدفن بقصد تذكير الحاضرين بالموت وما بعده، لحديث البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ [مستقبل القبلة] وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثاً فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر» [ثلاثاً] ثم قال:

«إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن

من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة – وفي رواية: المطمئنة – اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها.

وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١].

ويخرج منها كأطيب نفح مسك وجدت على وجه الأرض، قالوا: فيصعدون بها فلا يمرون – يعني – بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة. فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين؛ ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ١٩ – ٢١]، فيكتب كتابه في عليين.

ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض فإني (وعدتهم أني) منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: [فيرد إلى الأرض، و] تعاد روحه

في جسده، [قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه] [مدبرين]، فيأتيه ملكان [شديدا الانتهار] فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فيقول: ربي الله، و ديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينادي منادٍ في السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، وقال: ويأتيه (وفي رواية يمثل له) رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك (أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: وأنت؛ فبشرك الله بخير) من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول أنا عملك الصالح، (فو الله ما علمتك إلا كنت سريعا في طاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً). ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله أبدلك الله به هذا! فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي (فيقال له: اسكن).

قال: وإن العبد الكافر (وفي رواية الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة (غلاظ شداد) سود

الوجوه، معهم المسوح (من النار)، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود (الكثير الشعب) من الصوف المبلول (فتقطع معها العروق والعصب) فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على ظهر الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان؛ بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ** ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه (من السماء) طرحاً (حتى تقع في جسده. ثم قرأ: ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ** ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده.

(قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه)، ويأتيه ملكان (شديدا الانتهار فينهرانه) ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ (فيقول: هاه، هاه لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري). فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه. فيقال: محمد. فيقول: هاه هاه لا أدري، (سمعت الناس يقولون ذاك. قال: فيقال: (لا دريت)، ولا تلوت)! فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار. فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه (وفي رواية: يمثل له رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الرائحة، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: (وأنت فبشرك الله بالشر! من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث، فو الله ما علمت إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله)، فجزاك الله شراً.

ثم يقيض له أعمى أصم أبكم، في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب إلى النار، ويمهد له من فرش النار، فيقول: رب لا تقم الساعة[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/٢٨١)، والحاكم (١/٣٧ – ٤٠)، والطيالسي رقم (٧٥٣)، وأحمد=

=(٢٨٧/٤ و٢٨٨ و٢٩٥ و٢٩٦) والسياق له، والآجري في الشريعة (/٣٦٧ – ٣٧٠)، والنسائي (٢٨٢/١)، وابن ماجة (٤٦٩/١ – ٤٧٠) القسم الأول منه إلى قوله: «وكأن على رؤوسنا الطير»، وهو رواية لأبي داود (٧٠/٢) بأخصر منه، وكذا أحمد (٢٩٧/٤). وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وهو كما قالا، وصححه ابن القيم في: إعلام الموقعين (٢١٤/١)، وتهذيب السنن (٣٣٧/٤)، ونقل فيه تصحيحه عن أبي نعيم وغيره.

وقال الألباني في الحاشية في ص (٢٠٢) من كتابه المذكور أحكام الجنائز وبدعها موضحاً أوجه روايات هذا الحديث: والزيادة الأولى لأبي داود وابن ماجة والحاكم، والثانية لأحمد والطيالسي، والثالثة له والحاكم، والرابعة لأحمد، والخامسة للطيالسي وله السادسة والثامنة، والسابعة للحاكم، والتاسعة لأحمد، والعاشرة لأبي داود، والحادية عشرة والثانية عشرة للطيالسي، والثالثة عشرة لأحمد، والرابعة عشرة للطيالسي، والخامسة عشرة له وكذا أحمد، والسادسة عشرة له أيضاً، ولأحمد نحوه، وله السابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرون والواحدة والعشرون، وللحاكم الأخيرتان منها، والثانية والعشرون لأحمد، والثالثة والعشرون والخامسة والعشرون للحاكم، والرابعة والعشرون للطيالسي، والسادسة والعشرون لأحمد، والسابعة والعشرون للطيالسي، والثامنة والعشرون لأبي داود، والتاسعة والعشرون والثلاثون للطيالسي، ولأحمد الزيادات الباقية، والثالثة والثلاثون منها للطيالسي ولفظها له.

وأما الرواية الثانية فهي للحاكم، ولأحمد الثالثة، وللحاكم والطيالسي الرابعة والخامسة والسادسة.

كما ورد حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في الترغيب والترهيب للمنذري رحمه الله، (جـ ٤) من الطبعة المحققة في الصفحات من (٢٦٩ – ٢٧٤) بهذا اللفظ، وقال عنه المحقق في الهامش: حسن، رواه أبو داود ٣٢١٢، و٤٧٥٣، و٤٧٥٤، وأحمد ٢٨٧/٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠/٣) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، والبيهقي في عذاب القبر رقم=

وعني بهذا الحديث أيضاً الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/٢٣٥) وما بعدها فقال:

٨٣ – باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله.

١٣٦٢ – حدثنا عثمان قال: حدثني جرير، عن منصور، عن سعد ابن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي رضي الله عنه قال: «كنا في جنازة...» الحديث الذي مر نقله من صحيح البخاري.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في كلامه عنه، في (٣/٢٢٥) من فتح الباري: قوله: باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله: كأنه يشير إلى التفصيل بين أحوال القعود؛ فإن كان – لمصلحة تتعلق بالحي أو الميت لم يكره، ويحمل النهي الوارد عن ذلك على ما يخالف ذلك... إلى أن قال في (ص ١٢٦) في أثناء تفسيره للآيات التي وردت في الحديث قال: وهذه التفاسير أوردها لتعلقها بذكر القبر استطرادا، ولها تعلق بالموعظة أيضاً.

قال الزين بن المنير: مناسبة إيراد هذه الآيات في هذه الترجمة للإشارة إلى أن المناسب لمن قعد عند القبر أن يقصر كلامه على الإنذار بقرب المصير إلى القبور ثم إلى النشر لاستيفاء العمل.

=(٥٥) وهو حديث صحيح رواه جمع من الأئمة كما مر.

وقال العيني رحمه الله في كتابه عمدة القارئ بالمجلد الرابع (١٨٥/٨) باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله: أي هذا باب في بيان وعظ المحدث عند القبر، والوعظ: النصح والتذكير، قوله: «وقعود أصحابه» عطف على قوله: «موعظة المحدث» أي وقعود أصحاب المحدث حول المحدث، وكأنه أشار بهذه الترجمة إلى أن الجلوس مع الجماعة عند القبر إن كان لمصلحة تتعلق بالحي أو الميت لا يكره ذلك، فمثل مصلحة الحي أن يجتمع قوم عند قبر وفيهم من يعظهم ويذكرهم الموت وأحوال الآخرة. انتهى المقصود من إبراده ص (١٨٦).

وذكر هذا الحديث أيضاً الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١٣١/٢)، ونبه إلى كثير من ألفاظه وطرقه.

علماً بأني اطلعت على ما يسره الله لي من المراجع من شروحات هذا الحديث لبعض رواته كالفتح الرباني للساعاتي، وكبذل المجهود في حل أبي داود، وكعون المعبود شرح أبي داود وغيرها، ولم أجد في كلامهم عنه تعرضا للموعظة عند القبر. والله أعلم، وهو الموفق للصواب.

وجاء في كتاب «المقرب لأحكام الجنائز» المشتمل على (١٤٨) فتوى في الجنائز، في (ص ٦٠)؛ سؤال مقدم لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين — في موضوع الوعظ عند القبر — عند دفن الميت، هذا نصه:

س ٦٩ : ما رأيكم فيما ظهر هذه الأيام من الوعظ عند القبور عند دفن الميت؟

جـ ٦٩ : الذي أرى في الوعظ عند القبور أنه أمر لا يُشرع ، ولا ينبغي أن يتخذ هذا سنة دائمة ، فإن وجد له سبب فقد يشرع ، مثل أن يرى أناساً في المقبرة عند الدفن يضحكون ويلعبون ويتمازحون ؛ فهنا لا شك أن الموعظة حسنة وطيبة لأنه وجد له سبب يقتضيها ، أما مجرد أن يقوم الإنسان خطيباً عند الناس وهم يدفنون فهذا لا أصل له في هدي النبي ﷺ ولا ينبغي أن يفعل.

صحيح أن النبي ﷺ انتهى إلى جنازة رجل من الأنصار ولما يلحد القبر، فجلس عليه الصلاة والسلام وجلس أصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الهيبة والعظمة، وكان مع الرسول ﷺ قضيب ينكث به الأرض، فجعل يحدثهم عليه الصلاة والسلام عن حال الرجل عند موته، وبعد وفاته ؛ فهذا واضح أنه لم يكن خطيباً يخطب الناس ويعظهم، لكنه جالس وحوله أصحابه ينتظرون متى يلحد هذا القبر، فحدثهم كما لو كنت أنت وأصحابك تنتظرون دفن الميت فجعلت تحدثهم بهذا الشيء، وفرق بين الحديث الخاص الذي يكون بين الجلساء، وبين ما يفعل على سبيل الخطبة.

كذلك كان الرسول ﷺ إذا دفن الميت وقف عليه، وقال: «استغفروا

لأخيكم، واسألوا له التثبيت؛ فإنه الآن يسأل». فهذا أيضاً مسألة خاصة وليست خطبة.

كذلك وقوفه عند قبر أحد الصحابة وعيناه تذرفان، ويقول: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة والنار». هذا الحديث أو معناه؛ كل هذا لا يدل على مشروعية الخطبة عند الدفن على سبيل الأمر الذي يكون عادة متبعة. ومثل هذه المسائل ينبغي لنا أن نتحرى فيها.

وكذلك ورد مثل هذا السؤال وجوابه في كتيب: ٧٠ سؤالاً في أحكام الجنائز. أجاب عليها الشيخ محمد بن صالح العثيمين في (ص ٢٦) منه.

هذا والله أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

